الشفتين ولم يظهر الا في الورق باسود المداد يقرأ بلا عمل ويطالب فلا سميع فهل لنا شيء من حرية الفكر في النساء

هذه افكاري في الرد على حضرة الكاتبة (القارئة) فان هي اجابت فبشر نساء الاسلام وان هي تنحت فقل على ذاك الصفاء السلام

إجلال العلماء

للعلم فوائد عديدة لا يكاد يجمعها قلم اذ لا تحصى لكثرتها بل يكفي ان يقال ان العلم هو النفع المحض والفائدة الصرفة ولذلك يصح ان يقال ان كل ما يستفيده الانسان في دنياه واخراه انما هو من مولودات العلم وكل ما يشقى به في يوميه يكون من الجهل دون ريب

ولقد يعلم الجميع ان الناس ينتفعون من العالم اثناء حياته بما يفيضه عليهم من قريحته ويجدد لهم من مواليد افكاره ومعارفه حتى اذا مات ماتت فوائده ولم يبق منها الا الفوائد القديمة التي تركها حية لا تموت . ولكن الاوربيين قد تنبهوا في هذه الايام الى حالة جعلت العالم نافعاً للناس على الدوام وذلك ليس بنشر هم كتبه والتنويه بها والحض على اقتنائها بل بجعلهم العالم منهم حياً بمنافعه الى الابد من جهة الاستفادة بذكراه واقامة الاحتفالات العظيمة بعد موته مما يعد كموسم عظيم او معرض جامع يكون سبب رزق كبير للناس كأنهم لما علموا ان لا معاد للعالم اليهم لينتفعوا بما يتجدد من خاطره عمدوا الى الانتفاع منه من طريقة احيائه في الاذهان التماساً لتسبيب الرزق

الذي اشرنا اليه كما حدث ذلك لفيكتور هيكو الشاعر الفرنسوي المعروف فان الفرنسويين بعد ان استفادوا ما استطاعوا من هذا الرجل في مدة حياته رأوا ان يديموا انتفاعهم منه بتجديد آثاره وتذكار اعماله مغتنمين لذلك كل فرصة تصح حتى كان تذكار المئة سنة لولادته فاقاموا له حفلة بل حفلات ما رأت مثلها ملوك كبار ولا نما بها مجد قياصرة عظام . ولكن فعلهم هذا مع ما كان له من النفع الادبي في اعظام رجال العقل واكبارهم في النفوس ليقتدي بهم غيرهم قد كان له نفع آخر لا يقل عن ذاك وهو تسبيب الارزاق للناس واكثار موارد ربحهم لان تذكار هذا الشاعر قد اقيم له من الاحتفالات في فرنسا كلها وفي كل عواصم اوربا بل في كل مكان ينطق فيه بالسين (اي اللغة الفرنسوية) ما لا يعد ثم كان في اثناء ذلك ما كان من بذل الاموال واجتماع الجموع واقامة الولائم وتمثيل الروايات وامثال ذلك مما لا يحصى ولا يحصى معه المال الذي انفق في سبيله

على ان العلماء ما برحوا منذ القدم وهم سبب نفع للناس بعد مماتهم اكثر مما كانوا نافعين مدة حياتهم وذلك للسبب الذي اشرنا اليه في مقالتنا السابقة عن « الشهرة » من اجلال الناس لقبور العلماء وتكريمهم المنازل التي كانوا فيها والمدائن التي ولدوا بها وايثارهم لكل اثر من آثارهم والمنافسة باقتنائه كانفس الجواهر واثمن الحلي وهو ما يعرفه رجال الغرب دوننا ويعدونه من اهم واجباتهم

اما اولئك العلماء الذين لا يزال الناس ينتفعون منهم الى الان فوق انتفاعهم منهم وهم احياء في جملتهم برنس الشاعر الايكوسي فان هذا الرجل قد ولد في قرية حقيرة ولكنه لم يكد يموت ويبلى جسمه حتى صارت قريته

كعبة يحج اليها العارفون بقدره واصبح منزله الحقير كأنه منحف جامع لاجل الآثار يزوره الناس من كل ناحية وقد اشتراه بعضهم بمبلغ ٤ آلاف جنيه وجعل رسم الدخول اليه نحو غرش فكان عدد زواره ٣٦ الف نفس وهم يزدادون في كل فصل . الا ان موضع ولادته لم يكن بالمزور وحده بل انه قد شهر عدة قرى كان يسكنها وينظم فيها قصائده الطنانة ولذلك فهي الان تزار كل عام وينال اهلها من اموال الزائرين ٣٥ الف جنيه عدا الوف الاموال التي تنفق للسكك الحديدية وسواها

ثم يتلو برنس وليم شكسبير الشاعر العظيم فان الذين يزورون منزله ومكان ولادته ومطبخ داره يعدون بالالوف وما ينفقونه من الاموال يعد كذلك ولا تزال الى الان قرى كثيرة تزداد تشرفاً وازدهاء لسكنى ذلك الشاعر فيها وهي تزداد اكتساباً وغنى بسببه كل عام . ويقال ان ولتر سكوت وديكنس الكاتبين الكبيرين قد انشأا بعض القرى انشاء حتى جعلاها مدائن ذات فنادق كبيرة ومركبات كثيرة وهي الان ترتزق اهلها بسبب حج الناس اليها كما يرتزق الان سكان الاراضي المقدسة من زيارة الحجاج لها

هذا طرف يسير مما يجري في انكلترا وحدها لبعض علمائها واكابر شعرائها واما سائر اوربا فانه يجري فيها من ذلك ولا شك شيء كثير وهو دائم فيها كل عام كدوام المعارض والمواسم وللناس منها انتفاع مزدوج لانهم يكتسبون المال الذي ينفق في الزيارات ويكتسبون الذكر الحسن بما يبدونه من اجلالهم للعظماء وحملهم كل متأدب على الاقتداء بهم حتى يكونوا بعد موتهم مثلهم وبذلك كانوا بفعلهم هذا كأنهم ينشئون الرجال انشاء ويخلقون العظمة فيهم خلقة

اما بلادنا فانه يجري فيها شبه ذلك شيء كثير ولكنه يجري على الطريقة الدينية التي لا فضل لاحد في اتباعها وتكريم الدين بها وذلك يكون بزيارة قبور الاولياء العظام ومساجدهم واماكن ولادتهم كما يجري في طنطا ودسوق وقنا وسيدي جابر وغيرها كثير من مدائن القطر وقراه . واما تكريم منازل علماء الدنيا وزيارة المواضع التي ولدوا بها واقامة احتفالات لتذكار ولادتهم او موتهم فليس له اثر في كل شرقنا بالاطلاق وهو ما يمكن ان يكون له اثر جليل في المستقبل كما كان من قبل لرجال الدين لان عدم اكرامنا للعلماء بعد موتهم انما هو من قبيل عدم اعتيادنا ذلك وليس من قبيل نكراننا لفضلهم او تسياننا اياهم ولكننا اذا ادرجنا هذه العادة بيننا فانها تسري دون ريب في كل الشرق وتكون عوناً كبيراً على تعويد ابنائنا احترام العلماء وزيارة مواضعهم والاقتداء بهم كما يفعل الافرنج

وعلى ذكر ذلك قد قرأنا في جريدة المصور الغراء ان بعض الافاضل حين جرى بينهم ذكر فيكتور هيكو وما كان له من عظيم الاجلال عند تذكار مرور مئة عام على ولادته قد ذكروا من علمائهم المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي الشهير الذي ولد عام ١٨٠٠ وقرروا ان يجروا لتذكاره شيئاً من ذلك الاحتفال اعترافاً بفضله ودلالة على فضلهم ولا سيما ان بين هيكو واليازجي مشابهة كبرى من حيث كلاهما شاعران مبدعان مجددان لمعالم الاداب الفرنسوية والعربية فضلا عن اتفاقهما في حين المولد ومرور مئة سنة على ميلاد كل منهما . وهو مشروع لم يبلغنا بعد تفصيله ولكننا نراه على كل حال من اجل المشروعات الادبية كما نرى اليازجي اول من يجب ان يبدأ به في هذا الشأن لانه كان لدى الحقيقة من مجددي الآداب العربية بعد عفائها دهراً طويلاً كما كان

على الخصوص من مجددي رونق الشعر ومخترعي اجود اساليبه وطرقه . ولهذا يقال الان لكل شعر سهل ممتنع انه شعر يازجي

حديث الانيس

ذكرنا من قبل شيئاً عن فوائد شركات الضمانة وما في هذا المبدأ من معاونة الكل للبعض حين اشتداد النوائب وقد قرأنا اخيراً من الدلائل على ذلك ان رجلا في اوستراليا قد لبث مريضاً مدة ٣٨ سنة وكان مضموناً بما يكفل رزقه حين مرضه فبقي تلك المدة وهو ينال الاسعاف الكافي من الجمعية التي كفلته ولولا ذلك لملّ اوه وامه من الانفاق عليه كل تلك المدة الطويلة . فلو كان يجري في بلادنا شيء من ذلك لقل الشقاء حتى لا يشعر به

* * *

لا شيء يشغل خواطر الباحثين الان مثل اشتغالهم باستنباط قوة تكون مجانية او على الاقل ادنى نفقة من الفحم الحجري ولكنهم لم يصلوا من ذلك الا الى شيء قليل من مثل تحسين في آلات البخار حتى يقل استهلاكها للفحم الحجري ولكن الحكومة الايطالية قد كانت اولى الدول التي تنبهت الى قوى الطبيعة المجانية كالماء والهواء وذلك ان في بلادها آلافاً من الينابيع ومنحدرات المياه ذات القوى الهائلة المجانية وكلها كانت تذهب بلا نفع ويحرق دونها الفحم الحجري حتى انتبهت اليها من مدة قصيرة

وصارت تستخدم قواها في ادارة الالآت واستخراج الكهربائية فنجحت في ذلك نجاحاً عظيماً يقال انها ستصبح به اغنى الممالك بعد ان كانت افقرها وقد حسبت القوة التي يمكن ان تستخدم من جميع انهارها وشلالاتها فكانت معادلة لقوة مليونين و٥٠٠ الف حصان يجب لاستخراجها بواسطة الفحم الحجري ٢٥ مليون جنيه . وقد تألف الان في ايطاليا شركات كثيرة لاستمداد هذه القوى وتوزيعها على معامل البلاد ولعل سائر الدنيا تتبعها في هذا السبيل فتخلص من نفقات الفحم الحجري وتعب استخراجه وما فيه من المخاطر . وما كان اولى بلادينا العثمانية والمصرية باتباع هذه الطريقة فان في الاولى ما لا يعد من الانهار والجداول الجارية بقوة شديدة وفي الثانية قوى الشلالات وامواهها المنحدرة مما يمكن لو انفق عليها شيء من نفقة خزان اصوان ان يستغنى بها عن كل ما يرد الى هذه البلاد من الفحم الغالي الثمن الان في الدنيا من قوى الطبيعة ما لا تذكر في جنبه قوى اعظم الشلالات والانهار وهي قوة العواصف والزوابع الشديدة التي تدك المنازل وتقتلع الاشجار الضخمة فان كل هذه القوى منصرفة الى الضرر دون امكان الانتفاع منها بشيء وقد حسبت قوى زوبعة شديدة من الزوابع التي تهب في الهند خاصة فكانت معادلة لقوة ٤٠٠ مليون حصان بحيث انه لو جمعت قوى كل البشر والحيوانات ومنحدرات المياه لما كانت معادلة لها ولعل العلم يتمكن في المستقبل من استخدامها ما دام الفحم الحجري يهم بالنفاد

* * *

احصيت الاموال التي بذلتها البلاد الانكليزية بالعام الماضي في سبيل الاحسان والمعروف واغاثة الفقراء فكانت ٨ ملايين و٦١٩ الف جنيه اي